إسهامات حاضرة تنس
في دعم ورقي مملكة تلمسان الزيانية

أ/- فاطمة الزهراء عمارة

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف -

الملخص:

حتى يكتمل البناء الحضاري للدول لابد له من دعائم أخرى تملأ الفراغ وتسد ما ينقص من اكتمالها في مجالات عديدة، لذلك نجد الحواضر الكبرى التي شغلت مرادف العواصم اهتماما واسعا كبحث وطرح تاريخي، في حين كانت حواضر صغرى لم ترتق إلى دور عاصمة الدولة إلا أنها عرفت حركية تاريخية متباينة لم يسلط عليها الضوء من طرف الباحثين.

ومن أبرز هذه الحواضر بالمغرب الأوسط مدينة تنس التي احتلت فضاءً هاما على مسرح الحوادث السياسية والتطورات في تاريخ الجزائر خلال العصر الوسيط، ولعدة اعتبارات تاريخية، جغرافية واقتصادية كانت ضمن قائمة المدن الهامة التي دخلت في صناعة الخارطة السياسية لمعظم دول المغرب الإسلامي، لأن قادتها أدركوا قيمتها الحيوية.

الكلمات المفتاحية: تنس؛ الدولة الزيانية؛ المغرب الأوسط؛ الحواضر؛ العصر الوسيط.

Summary:

Even the cultural building of the countries completed must have the other pillars fill the vacuum and blocking what is missing from its completion in many areas, so we find megacities that have held synonymous with capitals wide attention as research and historic launch, while the capitals of junior did not live up to the role of the state capital, but it is known as kinetic Historical differences not highlighted by researchers.

One of the most prominent cities in the Middle East is the city of Tunis, which occupied an important space in the theater of political events and developments in the history of Algeria during the Middle Ages, and for many historical, geographical and economic considerations. Vital.

Keywords:

Tennis; Zayan State; Central Maghreb; Urban; Medieval Age.

تمهيد:

للبحث في هذا الموضوع ننطلق من الإشكاليات التالية:

1- ما هي جهود مدينة تنس وسكانها في دعم واستقرار الحكم لبني زيان على الصعيد السياسي؟

2- ما هي مقوماتها الاقتصادية التي طورت الاقتصاد الزياني؟

3- كيف ساهم علماء تنس في وضع الحجر الأساسي لحركة التعليم بتلمسان؟

4- ما هي الفضاءات الفكرية التي نجح علماء تنس في صناعتها وتطوير المنظومة المعرفية بالدولة الزيانية؟

عالجت العديد من المصادر حوادث مدينة تنس، ونذكر منها عبد الرحمن بن خلدون في كتابه "العبر"، وأيضا في كتابه "الرحلة" حيث عرف ببعض علماءها، كما تناول أخوه أبو زكريا يحي بن خلدون في كتابه "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" حوادث المنطقة خلال هذا العهد الزياني، وذكر لنا بعض أعلام المغرب الأوسط. وكانت تنس وأعلامها ضمن هذه الحوادث، ولم تحظ مدينة تنس بدراسة تاريخية مستفيضة إلا أن بعض المراجع تناولت بعض حوادثها مثل عبد العزيز فيلالي في كتابه "تلمسان خلال العهد الزياني"، وبعض الجغرافيين الذين زاروا المنطقة فأعطونا وصفا جغرافيا واجتماعيا لمدينة تنس مثل البكري في كتابه

"المسالك والممالك"، كما زارها الحسن الوزان وكتب عنها في كتابه "وصف إفريقيا".

وقد قسمنا البحث إلى محورين: الأول تناولنا فيه قراءة تاريخية وسياسية للمدينة أدرجنا فيه تعريف المدينة وتأسيسها ثم أدوارها السياسية قبل وبعد العهد الزياني، والثاني تطرقنا إلى الدور الحضاري لعلماء تنس بتلمسان، وموقف السلطة الزيانية من علماء تنس ودورهم ما بين النشاط السياسي والعلمي.

واعتمدنا المنهج الاستقرائي من خلال الاطلاع على مختلف المصادر المعاصرة لحوادث الفترة، مع التحليل والدراسة لأهم تلك الحوادث.

1-الإطار التاريخي والجغرافي:

تقع مدينة تنس الحديثة على هضبة ترتفع بحوالي 60 كلم عن مستوى سطح البحر يحيط بها واد تناتين[1]، الذي تصب مياهه في البحر الأبيض المتوسط، وتقابلها من الجهة الشمالية موقع للمدينة الرومانية على بعد كيلومتر، وتبعد عن مصب واد الشلف بحوالي 65كلم.

تتميز المدينة بوجود سلسلة جبلية متوسطة الارتفاع، تحيط بها من الشرق والغرب كجبال الظهرة التي تأتيها من الجهة الشرقية والجنوبية، بالإضافة إلى جبال سيدي مروان التي تنتهي بصخور تشكل بمجملها ما يسمى رأس تنس[2] وهي تتميز بمناخ معتدل ورطب صيفا وبارد شتاءً، ولم يكن يوما عائقا أمام التطور العمراني بها الذي كان يزدهر ويتدهور تبعا لعوامل أخرى أكثرها سياسية وطبيعية واقتصادية.

أكثر ما اختلف المؤرخون في اسمها لا في تاريخ تأسيسها، والرواية الأولى تقول أن لفظة –تنس- فينيقية اشتقت من اسم كارتيناس Cartenas، كرت بمعنى المدينة، والثاني تيناس ورواية أخرى ترجع نسبة الاسم لأحد ملوك الصيد الملقب بتنس Tennas[3].

ورواية أخرى تقول أنها استحقت اسم ابنة القائد الروماني الذي حرر المدينة من الفينيقيين [4]، ويؤكد صاحب دليل الحيران أن اسمها بربري نسبة إلى رجل من زناتة[5].

أجمع المؤرخون على أن تأسيس المدينة كان ضمن مشروع البحارة الأندلسيون الذي انتهى بتأسيس بعض مدن الشريط الساحلي للمغرب الوسط خلال منتصف القرن الثالث الهجري، يعود هؤلاء البحارة غلى مدينة البيرة الأندلسية وهم: الكركرني، وأبو عائشة والصقر.... أسست مدينة تنس لما تحمله من مؤهلات جغرافية وطبيعية (المناخ، الماء، الزراعة، منفذ بحري) لتكون مدينة ذات أبعاد اقتصادية تجارية، بحرية، وزراعية[6].

أ- **التاريخ السياسي للمدينة قبل العهد الزياني**:

ظهرت تنس على الساحة والسياسية بعد قيام الدولة الرستمية فقد لعبت دورا اقتصاديا هاما لصالح الرستميين كقبلة بحرية تربطهم بالعالم المتوسطي، ولعب ميناؤها دورا هاما في المبادلات التجارية مع الضفة المتوسطية الأخرى لاتصال المسالك البحرية به وبمدينة تيهرت[7].

دخلت المدينة تحت نفوذ حكم الأدارسة (172هـ/ 770م) بعد أن استقر الحكم لإدريس الأول في مدينة وليلي ثم انتقلت الدولة إلى فاس بعد اتخاذها خاصة جديدة بها، وكانت تنس تحت حكمهم ضمن أقاليم تلمسان حيث كانت قاعدة بالمغرب الأوسط تابعة للأدارسة يحكمها أمراء من قبل سليمان بن عبد الله الكامل، ممثل الدارسة بالمغرب الأوسط، وتوارثت أسرته -إبراهيم بن محمد بن سليمان- حكم هذه الإمارة[8].

وفي العهد العبيدي دخلت المدينة تحت سيطرة العبيديين (الفاطميين) وهي لا تزال تابعة للأدارسة[9]، إلى غاية (342هـ/953م) أزال العبيديون تنس من حكم السليمانيين إلى غاية العهد الزيري امتدت قواتهم لأهل باغاية لإخماد ثورتهم، اضطر بلكين بن زيري الزحف نحو المغرب الوسط وفتح تنس ومليانة وحاصر تلمسان سنة (363هـ/947م)، وبعد افتراق حماد عن الزيديين[10]، بقيت تنس تتأرجح بين نفوذ الزيريين والحماديين إلا أنها في حقيقة الأمر كانت تابعة لدولة بني حماد ولكن تأرجحت ضمن الصراع الذي كانت بين الدولتين[11].

خلال هذه المرحلة كانت قد تأسست الدولة المرابطية سنة (448هـ/1050م)، وقام يوسف بن تاشفين بحملته المشهورة ضد قبائل زناتة وصولا إلى المغرب الأوسط ومن ضمن ما أخضع في حملته تلمسان، وهران، الشلف وانشريس ومدينة تنس من أجل إخضاع المغراويين سكان تنس، وتجاوز في حملته حتى جزائر بني مزغنة[12].

وفي مستهل القرن (6هـ/ 12م) عرفت المغرب الإسلامي تحولات جذرية على المستوى السياسي، ذلك بقيام دولة الموحدين ليصبح بمراكش سنة (555هـ/1160م)، ودخلت المدينة تحت حكم الموحدين بعد زوال دولة بني حماد، وعرفت مدينة تنس خلال الحقبة الموحدية التي شهدت صراعات مع النوميديين على السواحل، أين استطاع الموحدون صد هجوماتهم وهزيمتهم، الأمر الذي أحيا النشاط الاقتصادي للدولة ولميناء المدينة على وجه الخصوص[13].

ب- تنس خلال العهد الزياني:

تعرضت تنس لفترات كثيرة للحكم من طرف زعماء مغراوة، وهي من القبائل التي طالما سعت لزعامة ورئاسة المغرب الأوسط من طرف أسرة المغراويين، استوطنت مغراوة مدينة تنس ونواحي الشلف، وخلال هذا العهد استقل أمير قبائل مغراوة منديل بن عبد الرحمن وأضاف إلى مملكته بمازونة وتنس وشرشال وبرشك وما جاورها، وكان يشكل غالبية سكان المدينة من هذه القبيلة[14].

وقبائل مغراوة من القبائل الزناتية التي حاولت الحفاظ على ممتلكاتها أثناء استقرار الحكم لبني عبد الواد، وكانت معادية للدولة الزيانية، استولى على المدينة يغمراسن بن زيان في حملته الواسعة عقب انتصاره على الموحدين سنة (646هـ/1248م) استولى على مازونة، تنس، ووانشريس[15].

وبعد اعتلاء عثمان بن يغمراسن الحكم قام بإخضاع القبائل الخارجة عنه وبدأ بالمناطق الشرقية ثم رجع إلى مازونة وحاصرها، واستولى عليها سنة (686هـ/1287م)، وفتح مدينة تنس وأخضع أهلها ودخل الونشريس والمدية وبرشك دخول المنتصر[16].

والحديث الذي أغفلت المصادر ذكر أسبابه وخلفياته هو مساندة أهل تنس للزيانيين ودعم حكمهم للظهور من جديد عن طريق الأخوان أبو سعيد وأبو ثابت، والعمل على محو آثار الحكم المريني فدخلت مغراوة وبنو توجين تحت لواء الأخوين، وأسفرت هذه الوحدة عن اقتحام الأخوان تلمسان في سنة (748هـ/ 1348م).

وبعد حرب طاحنة في حوض الشلف والونشريس وانتصارهم في المعركة على إثر هذا التحالف دخلت تنس، مازونة، برشك، وهران، والعديد من المدن تحت لواء الزيانيين، وتم نبذ طاعة المرينيين[17].

2- الدور الحضاري لعلماء تنس في العهد الزياني:

أ-موقف السلطة الزيانية من علماء تنس:

إن التفات يغمراسن بن زيان إلى علماء مدينة تنس جاء ضمن مشروعه لبناء حاضرة تلمسان، فعمل على جلب النخب العلمية إلى حاضرته الجديدة، فقد سبق وان اختار لديوانه نخبة من الكتاب الوافدين إليه من الجاليات الأندلسية المهاجرة فآثرهم وقربهم إلى مجلسه"[18].

ولم يصرف يغمراسن نظره عن نخب المغرب الأوسط، فكان يردك قيمة أهل العلم والصلاح في ربوع دولته، واهتمامه بهذه الفئة نابع من شخصية الذي جاء في وصف التنسي له "كان دينا فاضلا محبا في الخير وأهله... كثيرا ما يجالس الصالحين ويكثر من زيارتهم"[19]، سواء كانوا بالحاضرة أو خارجها، فنجدها يعتد بالمسافات، ويسافر إلى الصالحين لزيارتهم[20].

وفي نفس السياق فصل صاحب النظم في اهتمام يغمراسن بالعلم والعلماء واستدل على حادثة استقدامه لعلماء تنس إلى حاضرته، ويكمن اهتمام يغمراسن بفقهاء هذه المدينة ضمن رعايته الحركة العلمية وتطوير التعليم بتلمسان.

نقصد هنا الفقيهين الأخوين أبو إسحاق وأبو الحسن بن يخلف التنسي، ونظرا لشهرتهما العلمية على المستوى الداخلي –المغرب الأوسط- أو الخارجي- المغرب الإسلامي كله- هذه الشهرة كانت نتيجة جهودهما في مجال التعليم بالإضافة إلى إدراك يغمراسن لوزنهما العلمي وشهرتهما الكبيرة من علماء المغرب الوسط[21]، فقد كانا " فقيهان مشاركان في العلم مع مروءة تامة ودين".

حاول السلطان يغمراسن جلب الفقيه الأكبر إبراهيم بن يخلف التنسي بكل الطرق للاستقرار بتلمسان ومزاولته فيها نشاطه العلمي "فكاتبه كثيرا ورغبة في سكنى تلمسان"[22]، وجاء في نص آخر "ولم يزل السلطان أبو يحي يغمراسن يخطبه للورود على تلمسان وهو يمتنع وإنما يرد زائرا، ويقيم أشهرا ثم ينصرف إلى تنس"[23].

إن مكانة الفقيه إبراهيم بن يخلف على المستوى العلمي المحلي المغاربي كانت الدافع الأكبر خلف إلحاح السلطان عليه للسكن بتلمسان فقد "انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها، ترد عليه أسئلة من تلمسان وبلاد إفريقية"[24].

وبعد حوادث فتنة مغراوة سنة (666هـ/ 1267م)، وردا إلى تلمسان، وفي لقاء علمي مع فقهاء المدينة بُلغ السلطان بذلك جاء إلى الجامع الكبير للقائه صحبة الفقهاء، وكرر طلبه في مكوثه عندهم قائلا: "ما جئت إلا راغبا أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما نحتاج، ووافق ذلك غرض الفقهاء، فعظموا عليه حتى أمير المسلمين وإتيانه إليه وعزموا عليه أن يفعل، فوافق على ذلك وأمر السلطان بنقل إليه[25]، فاستوطنها ودرس فيها وانتفع به خلق كثير[26].

أما عن قدوم أخيه أبي الحسن بن يخلف إلى تلمسان، فقد ذكر لنا التنسي "ورد عليه من المشرق بعد سكناه بتلمسان"، كان أي أن قدومه إلى تلمسان كان في عهد يغمراسن بعد وفاة أخيه لمنح منصب أخيه[27] واختص بذلك بكونه من كبار العلماء العاملين، ونال التعظيم والاحترام عند الملوك والعامة[28].

وقام السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بإنشاء مسجد يحمل اسمه "مسجد أبي الحسن بالقرب من المسجد الأعظم سنة (696 هـ/ 1296م)[29].

تؤكد الباحثة صابرة خطيف أن المسجد أنشأ لذكرى تخليد أخيه الأمير أبو عامر إبراهيم بن يغمراسن، واحتفظ المسجد باسم أبي الحسن الذي أطلق عليه عدد من الدارسين، تسمية أبي الحسن علي التنسي ومكانة الفقيه ليست كفيلة بالتأكيد على نسبة المسجد له، والباحثة لم تقف على نص يفيد من أنه كان إمام أو خطيبا أو مدرسا بها والمسجد لم يأخذ اسم أبي الحسن إلا في عهد يحي بن خلدون[30].

وبعد المرحلة الثانية من الحكم الزياني (707-791هـ/ 1307-1389م) التي تلت مباشرة الحصار المريني الطويل نشهد وفود العالمان الأخوان البرشكيان[31] ابني الإمام[32] على تلمسان. وباستقرارهما بتلمسان صنعا الحدث الثقافي بالدولة الزيانية على الصعيد الفكري والسياسي، سياسيا كان استقبال السلطان أبو حمو للفقيهين محل إجماع بين المؤرخين ضمن الحوادث الهامة التي استهل بها عصره، فبعد أن عُرف بمقامهما في العلم، واختط لهما المدرسة المعروفة بهما بتلمسان"[33].

يؤكد التنسي سبب إنشاء أبي حمو للمدرسة دخول الفقيهين تلمسان بعد وفاة يوسف بن يعقوب المريني، فلم ير ما يؤدي به شكر الله على النعمة من قتل عدوه وتعجيل الفرج بنهاية الحصار، إلا الاعتناء بالعلم من جهة، ومن جهة أخرى ضرورة القيام بحق العاملين بإنشاء المدرسة لهما من باب الإكرام والاحتفال بهما[34].

يتضح للقارئ في سيرة الفقيهين أن تحديد وجهتهما إلى تلمسان للاستقرار بها كان بعد قدومهما من المغرب، أقاما بالمغرب الأوسط بعد تعذر عودتها إلى موطنهما برشك لتغلب زيرم بن حماد عليها فقررا دخول تلمسان، وتعذر ذلك أيضا لأن أبو يعقوب المريني جاثم على تلمسان يحاصرها فانتقلا إلى مليانة وبنهاية الحصار، أوصلهما الكناني[35] عامل مليانة إلى أبي حمو[36] فأثنى عليهما وعرفه بمقامهما في العلم[37].

ونظرا لما كانا يحمل الفقيهان من مؤهلات علمية ومعرفية وشهرتها المغربية والمشرقية[38] بالإضافة إلى حرصهما للقدوم إلى تلمسان سنة (706هـ) كانت أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت أبو حمو موسى الأول (707هـ-718هـ/1307م-1318م) بإنشاء أول مدرسة مخصصة لتعليم الكبار بالمدينة خلال العقد ألأول من القرن (8هـ/14م)، وأخذت هذه اسمهما مدرسة أولاد الإمام ولعل الغاية من تأسيس أبي الحمو لمدرسة أولاد الإمام هي العمل على تأسيس المجال العلمي المخصص لتعليم الكبار من الطلبة، واقتناعه بضرورة وجود هذه المؤسسة ضمن مؤسسات الدولة ولأول مرة في مملكة تلمسان[39]، التي لم يشهد المغرب الأوسط إنشاء هذا النوع من المؤسسات من قبل، إلا في عهد أبي حمو موسى الأول، وحظي الفقيهين بشرف احتضان هذا الحدث العلمي والتاريخي لعدة إشارات على رأسها مكانة الفقيهين وشهرتهما.

رغم تضارب روايات ابن خلدون عن تاريخ قدوم الفقيهين لتلمسان ما بين عهد أبي زيان وعهد أبي حمو، فإن بدأ الانشغال بالمدرسة كان سنة (707هـ/ 1307م)، وتاريخ افتتاحها للتدريس كان سنة (710هـ/ 1310م)[40].

وأما عن محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني (ت 899هـ/ 1494م)، فيتضح لنا بعد ذكر اسمه ونسبه موطنه الأصلي -تنس- ثم يضاف إليه التلمساني، فهذا ما يدل على أنه تنسي الموطن والأصل ونزيل تلمسان هذا ما ذكره المقري عند التعريف به قائلا :" حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني" وأكد المقري في موضع آخر موطن الشيخ الحافظ "الإمام الحافظ عبد الجليل التنسي نزيل تلمسان، وسار جميع من ترجم للفقيه بأنه من مدينة تنس ثم تلمسان[41].

ولد ونشأ محمد بن عبد الله بمواطنه ثم انتقل إلى تلمسان باعتبارها حاضرة العلم والعلماء فواصل نشاطه الدراسي، فأخذ عن أشهر أعلامها آنذاك ويرجع محمود بوعياد أنه التحق بعلماء تلمسان ما بين (842هـ و846هـ)[42]، فتتلمذ على يد العلامة أبي الفضل محمد بن مرزوق الحفيد والإمام أبي الفضل بن الإمام والشيخ قاسم العقبابي والأصولي محمد بن النجار وإبراهيم التازي وابن العباس[43]، وساهم هؤلاء الأعلام الكبار في تكوين الشخصية العلمية ورصيده المعرفي الذي كان متنوعا بتنوع ينابيع العلم التي استقى منها التنسي، حتى طار صيته بين أقرانه بوصفه أحمد بن داود الأندلسي بشيخنا تقية الحفاظ قدوة الأدباء العالم الجليل"[44].

وأضاف بن داود عندما سُئل عن علماء تلمسان قائلا: العلم مع التنسي، والصلاح من السنوسي والرياسة مع ابن زكري" هذا دليل قاطع على أنه بلغ منزلة كبار العلماء في زمانه، يضاف إلى كونه فقيها، حافظا، أديبا، شاعرا ومؤرخا[45] حتى صار يعرف بالحافظ التنسي أدرك بنو زيان مكانة وقيمة هذا الفقيه فاعتنوا به ومنح مناصب علمية عدة بالإضافة إلى العلاقة التي كانت تربكهم به.

ب- علماء تنس ما بين النشاط السياسي والعلمي بتلمسان:

إن لم يكن نجاح علماء تنس في واجبهم العلمي نحو سكان تلمسان سواء كان على مستوى التدريس أو الوعظ بمعزل، فقد كان لهم دور آخر سياسي يقضي بدعم الحكم الزياني ما بين استقراره والحسم في رسم السياسة الخارجية، ومن منطلق العلاقة القائمة ما بين العالم والسلطان جاء دور الممارسة السياسية لعلماء تنس خلال مراحل متعددة من الحكم الزياني والتي تباينت فيها أدوار العلماء السياسية حسب المواقف والظروف العامة للدولة.

- **أبو إسحاق وأخوه إبراهيم بن يخلف التنسي:**

أدرك يغمراسن مكانة الفقيه إبراهيم بن يخلف كونه واحد عصره علما ودينا[46]، انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها[47] ذلك ما جعل له مكانة عظمة عند ملوك عصره[48] هذه المكانة دفعت يغمراسن إلى تفويض الفقيه للمشاركة في العمل السياسي للفصل في خصوماته مع جيرانه، وذلك عن طريق السفارة "لذلك كان أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف على رأس وفود السفراء إلى فاس الذي تمتع بسمعة علمية طيبة عند فقهاء فاس وأمرائها لتدعيم الروابط الأخوية والدبلوماسية بين البلدين"[49].

وشغل أخوه الفقيه أبو الحسن بن يخلف التنسي نفس الدور السياسي الدبلوماسي له مكانة عند الملوك وتصرف في الرسالة بين ملوك المغرب والمشرق، وبسببها انجرت إليه التهمة من ملوك تلمسان أيام الحصار الأول فخرج إلى السلطان أبي يعقوب المريني إلى غاية وفاته[50].

- **موقف محمد بن عبد الله التنسي اتجاه الأسرة الزيانية:**

كما أسلفنا تربط محمد بن عبد الله التنسي بملوك بني زيان علاقة قوية رسمية فهو مؤرخ الدولة الزيانية ومن خلال كتابة "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان" الذي خصصه لتخليد ملوك بني زيان وذكر آثارهم ومناقبهم وانجازاتهم السياسية والحضارية بالمغرب الأوس[51].

والدافع الحقيقي لتأليف هذا الكتاب هو خدمة السلطان محمد المتوكل الذي كان يعتبر خدمته من واجبه بقوله: "عسى أن أقوم ببعض واجب حقه علي"، ولعله كان يترتب من المتوكل لاعتقاده في حصة نسبه الشريف إذ أن الغاية الرئيسية من هذا الكتاب "نظم الدر" هو إثبات نسب الأسرة الزيانية[52] إلى نسب أسرة الدارسة، والتي روج لها وحاول إثباتها هو السلطان أبو حمو موسى الثاني، هذا الأخير الذي طالما كان شخصية محورية لدى مؤرخي البلاط

الزياني لما تحمله شخصيته من مزايا سياسية وعلمية وما قدمه لبقاء واستمرار الحكم لبني زيان[53]، لذلك خصص له أيضا التنسي كتابا بعنوان "راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الأمداح"، كما جمع فيه قصائد مدح فيها الشعراء السلطان أبو حمو موسى الثاني[54].

خاتمة:

تكمن قيمة مدينة تنس في أدوارها السياسية خلال الفترة الإسلامية الوسيطية حيث عرف حراكا سياسيا على مختلف فتراتها ونجد لها حضورا في صناعة القرار السياسي بالمغرب الأوسط عبر مراحل مهمة من تاريخه، وشهدت خلال العهد الزياني اهتماما لافتا من طرف السلطة الزيانية وحاول الزيانيون انتزاع هذا الإقليم من يد أمراء بني منديل بمازونة، ذلك ما جعل العلاقة متوترة ما بين تنس وتلمسان ومضطربة في أغلب أوقاتها، غير أن الدور الذي لعبه علماء تنس بحاضرة بني زيان على الصعيد السياسي والديني والتعليمي كان لتحقيق رغبة السلطة نحو توجيه التعليم ومؤسساته ومنظومته التعليمية لصالحها ونحو الرقي بالمملكة ومنافسة حواضر المغرب الإسلامي.

الهوامش:

---

(1) أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والمماليك، بغداد، مكتبة المثنى، ص61.

(2) ابن نعمان إسماعيل، مدينة تنس دراسة أثرية وعمرانية، رسالة دكتوراه في علم الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006م/2007م، ص02.

(3) ينظر: البكري، المصدر السابق، ص61. محمد صغير غانم، المملكة النوميدية البونية بالجزائر، الجزائر، دار الهدى، 2006م، ص149.

(4) Gsell (st), atlas archéologique de l'Algérie «Orléans Ville», Feuille n°12, éd agance natoinale d'archologie et de protection des sites et monuments historique, Alger, 1977, P02.

[5] محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيوان وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م، ص55.

[6] ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص133.

[7] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مراد والأدارسة حتى قيام الفاطميين، القاهرة، منشأة المعارف، 1999م، ج1، ج2، ص67، 79.

[8] ينظر: مسعد سامية، العلاقات بين المغرب والأندلس عصر الخلافة الأموية، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط1، 2008م، ص29.

[9] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، بيروت، منشورات دار الحياة، 1384هـ/ 1965م، ج2، ص248.

[10] نفسه، ج2، ص326.

[11] الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص252.

[12] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص38.

[13] السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، 1969م، ص152، 153.

[14] أبوراس الناصري، عجائب الأسفار، ص

[15] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، د.ط، 2002م، ج1، ص23.

[16] نفسه، ج1، ص28.

[17] ينظر: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، حياته، وآثاره، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط خاصة، 2011م، ص25 وما بعدها.

[18] عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج1، ص21.

[19] التنسي، المصدر السابق، ص125، 126.

[20] نفسه، ص126.

[21] للتفصيل في ترجمة الفقهيين ينظر: يحي ابن خلدون، ج1، ص151. ابن مريم المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، د.ت، ص66، 76.

[22] التنسي، المصدر السابق، ص126.

[23] ابن مريم، المصدر السابق، ص67.

[24] نفسه، ص66. التنبكتي، المصدر السابق، ص38.

[25] التنسي، المصدر السابق، ص126.

[26] ابن مريم، المصدر السابق، ص67. التنبكتي، المصدر السابق، ص38.

[27] تالنسي، المصدر السابق، ص127.

[28] نفسه، ص127.

[29] للتفصيل حول موقع وشكل المسجد ينظر: فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص146، 147.
[30] صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، الجزائر، مؤسسة جسور، ط1، 1432هـ/ 2011م، ص145.
[31] البرشكيان: ينسبان إلى موطنهما –برشك- وهي مدينة تقع على شاطئ البحر بين شرشال وتنس، زارها الحسن الوزان في ق 10هـ/ 16م. ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص284.
[32] هما الفقيهان أبو زيد عبد الرحمان وأبو موسى عيسى ابنا الإمام أبي عبد الملك محمد بن الإمام التنسي البرشكي المشهوران بالعلم والرياسة إماما عصرهما، أخذا العلم ببلدهما ثم بتونس ودخلا إلى المشرق في حدود 720هـ ثم عادا إلى المغرب. ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص169، 170. ابن مريم، المصدر السابق، ص123.
[33] أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون، رحلة بن خلدون، عارضها بأصولها وعلق على حواشيها محمد بن تاويت الطنجي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2003م، ص77.
[34] عمارة فاطمة الزهراء، المدارس التعليمية بتلمسان خلال (ق8-9هـ/ 14-15م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، 2009م/2010م، ص34.
[35] منديل بن محمد الكناني، كاتب الدولة المرينية بمليانة، أقاما الفقيهان فقربهما واصطفاهما لتعليم ولده، ينظر: ابن خلدون، نفسه، ص76، 77.
[36] ابن خلدون، المصدر السابق، ص76، 77.
[37] نفسه، ص77.
[38] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص169. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص76، 77. ابن مريم، البستان، ص123، 124.
[39] عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص37.
[40] عبد الرحمن ابن خلدون، الرحلة، ص77. العبر، ج7، ص118.
التنسي، المصدر السابق، ص139.
[41] التنسي، المصدر السابق، ص10.
[42] نفسه، ص13 وما بعدها.
[43] ابن مريم، المصدر السابق، ص248.
[44] نفسه، ص248.
[45] نفسه، ص248.
[46] التنسي، المصدر السابق، ص127.
[47] ابن مريم، البستان، ص66.
[48] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص151.
[49] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص25.

(50) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص151.
(51) ينظر: التنسي، نظم الدر والعقيان، ص109، 110.
(52) نفسه، ص28.
(53) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص15، 16، 18.
(54) التنسي، المصدر السابق، ص35.